الفصل الأول

الأحجار الكريمة

كانت أقمار نبتون تبدو من نافذة غرفة القيادة كقطع من الزجاج المعتم الملقى في بحر أسود لا نهائي.

تريتون، الأكبر بينها، كان يلمع بضياء شاحب مزرق، وسط عاصفة إشعاعية تدور حوله كإعصار صامت من جسيمات مشحونة.

الكابتن أسعد فؤاد وقف أمام الشاشة البيضاوية الكبيرة، يداه خلف ظهره، وعيناه مثبتتان على القراءة الرقمية التي تتغير كل ثانية.

درجة الإشعاع ترتفع.

الجاذبية تتذبذب.

والمحركات الأيونية تئن تحت الضغط.

– اقتربنا أكثر مما ينبغي يا كابتن.

صوت المهندس أولاد جاء من خلفه، خشنًا ومتهدجًا قليلاً من قلة النوم.

أسعد لم يلتفت.

قال بصوت هادئ، لكنه كان يحمل ذلك الثقل القديم الذي لم يعد يستطيع إخفاءه تمامًا:

– نحتاج إلى ثلاث ساعات أخرى فقط. بعدها نكون قد انتهينا من آخر منجم.

ابتسم أولاد ابتسامة مريرة وهو يمسح العرق عن جبهته بظهر يده:

– ثلاث ساعات على سطح تريتون تشبه ثلاث سنوات في أي مكان آخر. هذه الصخور تكرهنا.

أسعد لم يرد.

كان يعرف أن المهندس محق.

قبل سبع سنوات، في مهمة مشابهة فوق أحد أقمار أورانوس، فقد نصف طاقمه في انهيار مفاجئ لجدار جليدي مشع.

ما زال يسمع صرخاتهم أحيانًا في لحظات الصمت بين النجوم.

ما زال يرى وجوههم حين يغلق عينيه.

هذه المرة لن يحدث ذلك.

أقسم على نفسه بذلك.

***

في الممر الضيق المؤدي إلى غرف الطاقم، كانت منى تمشي بخطوات سريعة، شعرها الأسود الفاحم مربوط إلى الخلف بطريقة عملية، وبدلة الفضاء الخفيفة تلتصق بجسدها النحيل.

كانت تحمل جهاز تحليل صغيرًا في يدها، وشاشة البيانات تومض بضوء أخضر باهت.

توقفت أمام باب غرفة القيادة، ترددت لحظة، ثم ضغطت على اللوحة الجانبية.

انزلق الباب المعدني بصوت خافت.

أسعد استدار هذه المرة.

وعندما رآها، زال عن وجهه شيء من ذلك الظل القديم، ولو للحظة.

– كان يجب أن تنامي.

ابتسمت منى، واقتربت منه حتى وقفت إلى جواره أمام الشاشة الكبيرة.

– لا أستطيع النوم وأنا أعلم أنك هنا وحدك تراقب عاصفة إشعاعية يمكن أن تمزق الدروع في دقيقتين.

وضع أسعد ذراعه حول كتفها بهدوء، كما يفعل منذ أن تزوجا قبل ستة أسابيع فقط.

كان الزواج قد تم على عجل، في محطة فضائية صغيرة تدور حول زحل، قبل انطلاق المهمة مباشرة.

لم يكن هناك وقت لشهر عسل حقيقي.

فقرر أن يصطحبها معه.

– أنتِ عالمة أحياء، لا مهندسة دفاع.

ضحكت ضحكة قصيرة، ثم أشارت إلى الجهاز في يدها:

– وجدت شيئًا غريبًا في العينات الأخيرة. فطريات دقيقة جدًا، شبه متجمدة، تخرج من الشقوق العميقة في قشرة تريتون. لونها... أحمر قاتم. تقريبًا قرمزي.

أسعد شعر بقشعريرة خفيفة تسري في ظهره، دون أن يعرف لماذا.

– هل هي خطرة؟

هزت منى رأسها:

– لا أعرف بعد. لكنها تنمو بسرعة مذهلة حين تتعرض لأي مصدر حرارة. حتى حرارة الجسم البشري كافية.

نظر أسعد إلى الشاشة مرة أخرى.

العاصفة الإشعاعية كانت تقترب أكثر.

***

بعد ساعتين، هبطت المركبة الصغيرة على سطح تريتون.

الثلج المشع تطاير تحت أقدام الروبوتات العاملة، والأضواء الكاشفة رسمت دوائر باهتة على الصخور الزرقاء الداكنة.

أسعد كان داخل المركبة، يراقب عبر الكاميرات.
منى إلى جانبه، تأخذ قراءات مستمرة.

فجأة، اهتزت المركبة بعنف.

– انهيار جزئي في الجدار الشمالي للمنجم!

صوت أحد الفنيين جاء محمومًا عبر الاتصال.

أسعد ضغط على زر الاتصال فوراً:

– أخرجوا الجميع. الآن.

لكن الوقت كان قد تأخر ثواني قليلة.

رأى على الشاشة أحد الروبوتات ينهار تحت كتلة من الجليد المشع، ثم رأى جسد فني يُسحب إلى داخل الشق الذي انفتح فجأة في الأرض.

صرخة قصيرة... ثم صمت.

منى أمسكت بذراعه بقوة.

أسعد أغلق عينيه لحظة واحدة فقط.
ثم فتحهما، وكان صوته قد عاد إلى ذلك الهدوء الحديدي الذي يعرفه طاقمه جيدًا:

– أغلقوا المنجم. نأخذ ما جمعناه ونغادر فورًا.

***

عندما عادت المركبة إلى «الشهاب»، كانت الحاويات المعدنية الثقيلة قد أُدخلت إلى عنبر الشحن.

داخلها كانت الأحجار الكريمة التي جاءوا من أجلها: بلورات نادرة تتوهج بضوء داخلي أزرق وأرجواني، تُقدَّر قيمتها بما يكفي لتمويل أسطول كامل.

لكن أسعد لم يكن ينظر إليها.

كان يقف أمام النافذة الكبيرة في غرفة القيادة، يحدق في الظلام الذي يفصلهم عن بقية المجموعة الشمسية.

منى اقتربت منه من الخلف، ووضعت جبينها على كتفه.

– سنعود سالمين هذه المرة.

أسعد لم يرد فورًا.

ثم قال بصوت خافت، كأنما يحدث نفسه:

– في الفضاء، السلامة ليست وعدًا... إنها مصادفة نادرة.

في تلك اللحظة، على الحافة البعيدة لشاشات الرادار، ظهرت نقطة صغيرة سوداء.

بعيدة جدًا.

تكاد لا تُرى.

لكنها كانت تتحرك.

وتقترب.

الفصل الثاني

الظل الأسود

كانت النقطة السوداء على شاشة الرادار لا تزال بعيدة، لكنها لم تختفِ.

أسعد حدّق فيها لأكثر من دقيقة كاملة دون أن يتحرك.

المؤشر الرقمي إلى جانبها كان يتغير ببطء: المسافة تتقلص.

ليس بسرعة مذهلة، لكن بثبات مزعج، كأن شيئًا ما يمشي خلفهم في الظلام ولا يتعجل.

ضغط على زر الاتصال الداخلي.

– أولاد... تعال إلى غرفة القيادة فورًا.

بعد أقل من دقيقة انزلق الباب، ودخل المهندس وهو يمسح يديه بقطعة قماش دهنية.

– ما الأمر يا كابتن؟

أسعد لم يلتفت إليه. أشار بإصبعه إلى الشاشة.

أولاد اقترب، ثم صفر صفيرًا خافتًا:

– هذه ليست كويكبًا... ولا حطامًا. المسار مستقيم جدًا.

– أعرف.

– هل نغير الاتجاه؟

أسعد صمت ثواني. ثم قال بصوت منخفض:

– لا. ليس بعد. راقبها كل خمس دقائق، ولا تخبر أحدًا من الطاقم حتى أتأكد.

خرج أولاد وهو يهز رأسه، باب الغرفة انغلق خلفه بصوت معدني خافت.

أسعد بقي وحيدًا أمام الشوافذ البيضاوية.
الفضاء خارجها كان أسودًا تمامًا، مرصعًا بنجوم باردة لا تبالي.
تذكر فجأة وجوه الرجال الذين فقدهم قبل سبع سنوات.
كانوا يضحكون في غرفة الطعام قبل ساعات من الانهيار.
ثم لم يعد أحد يضحك.

***

في المساء نفسه، جاءت منى إلى غرفة القيادة تحمل كوبين من القهوة المركزة.
كانت ترتدي سترة خفيفة فوق بدلة العمل، وشعرها مرخي على كتفيها هذه المرة.

مدّت إليه أحد الكوبين.

– تشرب؟ أم ستظل تحدق في الظلام حتى الصباح؟

أخذ الكوب دون أن يبتسم.
شرب رشفة، ثم قال:

– هناك شيء يتبعنا.

منى توقفت عن الحركة. وضعت كوبها على اللوحة الجانبية ببطء.

– منذ متى؟

– منذ أن غادرنا مدار تريتون. كان بعيدًا جدًا في البداية... الآن أصبح أقرب.

جلست على المقعد المجاور له، وراحت تنظر إلى الشاشة.
النقطة السوداء كانت أوضح قليلًا.

– هل تظن أنه قراصنة؟

أسعد هز كتفيه.

– ربما. أو سفينة استطلاع تابعة لجهة ما. أو شيء أسوأ.

التفتت إليه، وعيناها الواسعتان كانتا جادتين هذه المرة:

– لماذا لم تخبرني منذ الصباح؟

صمت أسعد لحظة طويلة. ثم وضع الكوب جانبًا وأمسك بيدها.

– لأنني لا أريد أن أخافك. هذه رحلتنا الأولى معًا... شهر العسل الذي لم نحصل عليه. كنت أأمل أن نصل إلى المحطة دون مشاكل.

منى سحبت يدها برفق، لكنها لم تبتعد.

– أسعد... أنا لست طفلة. وأنا زوجتك، ليس ضيفًا على سفينتك. إذا كان هناك خطر، فأنا أريد أن أعرف مثلك تمامًا.

نظر إليها، ورأى في عينيها ذلك الإصرار الهادئ الذي أحبه فيها منذ اللحظة الأولى.

تنهد.

– حسنًا. السفينة تقترب ببطء، ولا ترد على أي إشارة. محركاتها... غريبة. قراءة الطاقة الصادرة عنها غير مألوفة.

منى نظرت مرة أخرى إلى الشاشة، ثم قالت بصوت خافت:

– الفطريات التي وجدتها على تريتون... هل يمكن أن يكون هناك صلة؟

أسعد رفع حاجبيه.

– ماذا تقصدين؟

– لا أعرف. فقط... شعور غريب. تلك العينات كانت تنمو حتى داخل الحاوية المغلقة. وكأن شيئًا يوقظها.

في تلك اللحظة، أعطى جهاز الإنذار صوتًا قصيرًا حادًا.

النقطة السوداء على الشاشة أصبحت أكبر.

والمسافة انخفضت فجأة بنسبة ملحوظة.

أسعد وقف بسرعة وضغط على أزرار الاتصال:

– جميع الطاقم إلى مواقع الطوارئ. أغلقوا عنابر الشحن، وفعّلوا الدروع الإشعاعية إلى الحد الأقصى.

التفت إلى منى، وكان وجهه قد عاد إلى ذلك القناع الحديدي الذي يعرفه الجميع:

– اذهبي إلى غرفة المعيشة الخلفية وانتظري هناك. لا تخرجي حتى آتيك بنفسي.

منى نظرت إليه لحظة، ثم هزت رأسها برفض هادئ:

– سأبقى هنا.

أسعد فتح فمه ليعترض، لكنه رأى في عينيها شيئًا جعله يصمت.

أخيرًا أومأ برأسه.

خارج النوافذ، في الظلام العميق بين الكواكب، كانت السفينة المجهولة تقترب أكثر.

شكلها بدأ يتضح تدريجيًا على الشاشات المكبرة: هيكل طويل داكن، كأنه منحوت من قطعة واحدة من الظل نفسه.

وعلى مقدمتها، كان هناك رمز باهت يكاد لا يُرى...

شكل يشبه صقرًا أسود منشور الجناحين.

الفصل الثالث

الوقود ينفد

بعد اثنتي عشرة ساعة من المطاردة المتواصلة، بدأت المحركات تئن.

الصوت لم يكن عاليًا في البداية. كان طنينًا منخفضًا متذبذبًا، يأتي من أعماق السفينة كأنه أنين حيوان جريح. ثم ازداد حدة تدريجيًا، حتى أصبح يملأ غرفة القيادة بأكملها.

أسعد وقف أمام لوحة التحكم الرئيسية، عيناه لا تفارقان مؤشرات الطاقة.

الشريط الذهبي الذي يشير إلى مستوى الديوتريوم والتريتيوم كان ينخفض بسرعة مخيفة.

– آخر خزانات الاحتياط فتحت منذ ساعة يا كابتن.

صوت أولاد جاء متعبًا عبر السماعة الداخلية.

أسعد ضغط على الزر:

– كم تبقى؟

– أقل من أربع ساعات بطاقة كاملة... أو ست ساعات إذا خفضنا السرعة إلى الحد الأدنى. لكنهم سيلحقون بنا قبل ذلك.

نظر أسعد إلى الشاشة الجانبية.

سفينة الصقر الأسود كانت الآن واضحة تمامًا: هيكل أسود لامع، طويل وضيق كسهم مسموم، ومؤخرتها تطلق وهجًا ورديًا خافتًا من محركاتها الغريبة.

– سنمر عبر حقل الكويكبات في القطاع سبعة.

صمت قصير من الجانب الآخر، ثم قال أولاد:

– هذا انتحار. الكثافة هناك عالية جدًا، والدروع لن تصمد أمام اصطدامين متتاليين.

– أفضل من الانتظار حتى ينفد الوقود ونصبح هدفًا ثابتًا. نفذ الأمر.

***

بعد عشرين دقيقة، دخلت «الشهاب» حقل الكويكبات.

كانت الصخور تدور حول نفسها ببطء مهيب، بعضها بحجم جبال صغيرة، وبعضها الآخر شظايا حادة تلمع تحت أضواء السفينة.

أسعد كان يقود بنفسه، يداه ثابتتان على أذرع التحكم، وعيناه تتحركان بسرعة بين الشاشات الثلاث.

منى جلست في المقعد الخلفي، مربوطةً بحزام الأمان، ويدها تمسك بحافة المقعد بقوة.

– هل أنت متأكد من هذا المسار؟

سألته بصوت خافت.

– لا. لكن ليس أمامنا خيار أفضل.

فجأة اهتزت السفينة بعنف.

صوت اصطدام مكتوم جاء من الجانب الأيمن، وأضاءت أضواء التحذير الحمراء في كل مكان.

– درع القطاع الثالث تضرر بنسبة أربعين في المئة!

صاح أحد الفنيين عبر الاتصال.

أسعد لم يرد.

كان يركز كل انتباهه على المناورة التالية.

أدار السفينة بحدة إلى اليسار، ثم رفع مقدمتها فجأة ليتفادى كتلة صخرية هائلة كانت تدور نحوهم.

خلفهم، سفينة الصقر الأسود دخلت الحقل أيضًا.

لكنها كانت تتحرك بثقة أكبر، كأنها تعرف المسارات مسبقًا.

ومن مقدمتها انطلقت أول شعاع أخضر رفيع كسيف.

الشعاع مر بجوار «الشهاب» على بعد أمتار قليلة فقط، واصطدم بكويكب صغير فحوله في لحظة إلى سحابة من الغبار المتوهج.

منى شهقت.

أسعد عض على شفته السفلى وقال بهدوء مخيف:

– إنهم يختبرون المدى.

ضغط على زر الأسلحة:

– فعّلوا المدافع الخلفية. أطلقوا رشقات قصيرة فقط... لا نريد أن نستهلك الطاقة أكثر.

انطلقت من مؤخرة «الشهاب» ثلاثة أشعة زرقاء باهتة.

اثنان منها أخطأ الهدف، والثالث لامس جانب السفينة السوداء دون أن يسبب ضررًا واضحًا.

رد الصقر جاء أسرع هذه المرة.

شعاعان أخضران متوازيان انطلقا كحربتين من الزمرد.

أحدهما اصطدم بالدرع الخلفي لـ«الشهاب» مباشرة.

اهتزت السفينة بعنف أشد، وانطفأت الأضواء للحظة قبل أن تعود بطاقة الطوارئ.

– الدرع الخلفي انهار بالكامل!

صوت أولاد كان مبحوحًا من التوتر.

أسعد نظر إلى مؤشر الوقود.

الشريط الذهبي أصبح الآن رفيعًا جدًا، يكاد يلامس الخط الأحمر.

همس لنفسه:

– ثلاث ساعات... ربما أقل.

التفت إلى منى.

كانت شاحبة، لكن عينيها ثابتتان.

– اسمعي... إذا وصلوا إلينا، أريدك أن تذهبي مباشرة إلى كبسولة النجاة رقم اثنين. لا تنتظري أحدًا.

منى هزت رأسها بعنف:

– لن أتركك.

– هذا ليس طلبًا يا منى. هذا أمر.

قبل أن تستطيع الرد، أعطى جهاز الإنذار صوتًا متصلًا حادًا هذه المرة.

على الشاشة الرئيسية ظهرت رسالة حمراء وامضة:

مستوى الوقود النووي الحرج

الاندماج سيتوقف خلال سبع وأربعين دقيقة

أسعد أغمض عينيه لحظة واحدة فقط.

عندما فتحهما، كان وجهه قد تحول إلى قناع من الصخر.

خارج النوافذ، في الظلام بين الكويكبات المتناثرة، كانت سفينة الصقر الأسود تقترب أكثر فأكثر، وهي تطلق بين الحين والآخر تلك الألسنة الخضراء القاتلة التي تبحث عن هدفها بعناد بارد.

الفصل الرابع

المعركة اليائسة

عندما توقف طنين المحركات أخيرًا، ساد صمت غريب داخل غرفة القيادة.

الصمت لم يكن فارغًا. كان ممتلئًا بصوت التنفس الثقيل، وبصفير الأجهزة التي تعمل الآن على طاقة الطوارئ فقط، وبهدير بعيد لشيء يقترب.

أسعد نظر إلى المؤشر الذهبي.

كان قد وصل إلى الصفر منذ دقيقتين.

– انتهت اللعبة.

قالها بصوت خافت، كأنه يخبر نفسه أولاً.

على الشاشة الرئيسية، ظهرت سفينة الصقر الأسود وقد أصبحت هائلة الحجم.

هيكلها الأسود اللامع يملأ نصف المجال البصري، ومؤخرتها ما زالت تطلق ذلك الوهج الوردي الخافت.

ومن أبراجها الجانبية انطلقت فجأة ست ألسنة خضراء متزامنة.

– اضبطوا الأسلحة الإشعاعية المتبقية! كل الطاقة على المدافع الأمامية!

صاح أسعد، وحاول أن يُبعد اليأس عن نبرته دون جدوى.

انطلقت من «الشهاب» أربعة أشعة زرقاء باهتة فقط.

كان ذلك كل ما تبقى من طاقتها.

اثنان منها أخطأا الهدف.

والثالث لامس الدرع الأمامي للسفينة السوداء فتلاشى كدخان.

أما الرابع فاصطدم ببرج جانبي صغير وأحدث انفجارًا محدودًا أضاء الظلام لحظة واحدة.

الرد جاء فوريًا وقاسيًا.

ست عشرة شعاعًا أخضر انقضت دفعة واحدة على برج الدفاع العلوي لـ«الشهاب».

الاصطدام كان عنيفًا لدرجة أن السفينة كلها ارتجفت كأنها صُفعت بيد عملاق.

انطلق مسحوق بني من البرج... تراب نيوتروني ناتج عن تفكك المادة تحت الإشعاع المركز.

ثم انهار البرج بالكامل، وتناثرت قطع معدنية متوهجة في الفضاء.

– برج الدفاع دُمر بالكامل!

صرخ أحد الفنيين عبر السماعة، وصوته يكاد يختنق.

أسعد أمسك بحافة لوحة التحكم حتى ابيضت أصابعه.

في اللحظة التالية، انفتحت فتحات في جانب السفينة السوداء، وانطلقت منها ست مركبات صغيرة سوداء كالحشرات.

كانت سريعة ومناورة، وسرعان ما التصقت بهيكل «الشهاب» بأجهزة مغناطيسية قوية.

– إنهم يصعدون على الهيكل!

***

بعد دقائق، بدأ صوت قطع المعدن يأتي من الممرات الخارجية.

أسعد وزع ما تبقى من الأسلحة اليدوية على الطاقم: سبعة مسدسات إشعاعية قصيرة المدى، وخمسة قضبان صعق.

لا أكثر.

– كل رجل إلى موقعه. لا أحد يستسلم قبل أن أصدر الأمر.

صوته كان حادًا وواضحًا، لكنه كان يعرف في داخله أن الأمر لن يطول.

منى وقفت إلى جواره، ترفض أن تبتعد.

كان وجهها شاحبًا، لكن عينيها تلمعان بإصرار عنيد.

– اذهبي إلى الكبسولة.

قال لها للمرة الأخيرة.

هزّت رأسها.

– سأبقى معك حتى النهاية.

لم يجد وقتًا للجدال.

انفتح الباب الجانبي للممر الرئيسي فجأة، واندفع منه أربعة رجال ملثمين ببدلات سوداء كاملة.
أسلحتهم تطلق ومضات خضراء قصيرة ودقيقة.

انفجر القتال داخل الممرات الضيقة.

كان عنيفًا، قصيرًا، ويائسًا.
ثلاثة من طاقم «الشهاب» سقطوا في الدقائق الأولى.
أولاد المهندس قاوم حتى آخر رصاصة إشعاعية، ثم سقط على ركبتيه وهو يسعل دمًا.

أسعد أطلق حتى فرغ سلاحه تمامًا.
ثم استخدمه كعصا وضرب به أحد المهاجمين على خوذته.
لكن العدد كان أكبر، والأسلحة أقوى.

بعد أقل من عشرين دقيقة، كان الممر الرئيسي قد سقط.
ثم غرفة المحركات.
ثم غرفة القيادة نفسها.

الباب انفتح أخيرًا، ودخل رجال الصقر الأسود بخطوات واثقة.
أسلحتهم مصوبة، وحركاتهم منضبطة كجنود مدربين لا كقراصنة عاديين.

أسعد رفع يديه ببطء.
كان يتنفس بصعوبة، ودم يسيل من جرح في جبينه.

منى وقفت خلفه، يدها تمسك بذراعه.

أحد الملثمين اقترب، ورفع جهاز اتصال صغيرًا إلى خوذته، ثم قال بصوت مشوه إلكترونيًا:

– السفينة تحت السيطرة. الكابتن وزوجته على قيد الحياة.

صمت قصير، ثم جاء الرد من الجانب الآخر، صوت جاف وواضح رغم التشويه:

– أحضرهما إليّ... سالمين.

***

بعد نصف ساعة، كان أسعد ومنى يُقادان عبر ممر مغناطيسي متحرك يربط بين السفينتين.
خلفهما، كانت «الشهاب» تبدو جريحة ومهزومة، أضواؤها تنطفئ واحدًا تلو الآخر.

أمامهما، انفتح باب السفينة السوداء ببطء مهيب.

ووقف في انتظاره رجل طويل، أسمر البشرة، ذو شعر أسود فاحم وعينين لونهما كهرماني داكن.
كان يرتدي سترة سوداء بسيطة، بلا أي زينة ظاهرة، ويبتسم ابتسامة خفيفة ساخرة.

قال بصوت هادئ، كأنما يستقبل ضيفين في منزله:

– مرحبًا بكما على متن الصقر الأسود.
أتمنى أن تكون الرحلة القادمة... أكثر متعة.

الفصل الخامس
الاستقبال الساخر

الباب انزلق جانبًا بصوت ناعم شبه معدوم، ودخل أسعد ومنى إلى ما بدا وكأنه صالة استقبال لا سفينة قرصان.

الجدران كانت منحنية بلطف، مطلية بلون رمادي داكن يلامس السواد، ومضيئة بخطوط رفيعة من ضوء أزرق خافت ينساب كأنهار صغيرة تحت سطح شفاف.

الأرضية لامعة كالمرآة، تعكس صورتهما المشوهة قليلاً.

وفي الوسط، كانت هناك طاولة طويلة من معدن أسود لامع، عليها أباريق وكؤوس فارغة مرتبة بعناية فائقة.

الصقر الأسود كان يقف في الجانب الآخر من الطاولة، يداه خلف ظهره، وابتسامته لا تزال مرسومة على وجهه كأنما نُحتت هناك منذ زمن طويل.

– تفضلوا بالجلوس. الرحلة كانت متعبة كما سمعت.

صوته كان هادئًا، عميقًا، وخاليًا من أي تهديد مباشر.

لكن عينيه الكهرمانيتين كانتا تراقبان كل حركة بدقة باردة.

أسعد لم يتحرك.

ظل واقفًا، والدم قد جف على جبينه، وبدلة الفضاء الممزقة تعلق على كتفه.

– أين طاقمي؟

سأله مباشرة.

الصقر رفع حاجبًا واحدًا فقط، كأن السؤال فاجأه بلطف مصطنع.

– بعضهم مات في القتال... وهذا أمر مؤسف لكنه ضروري. الباقون في عنبر آمن. لن يُمسوا ما دمتم تتصرفون... بعقلانية.

منى تقدمت نصف خطوة إلى الأمام، صوتها ثابت رغم الشحوب:

– نحن لسنا ضيوفكم. أنتم قراصنة، وهذا خطف.

ابتسامة الصقر اتسعت قليلاً، وأصبح فيها شيء من الإعجاب الحقيقي هذه المرة.

– أحب الصراحة. نادرة في هذه الأيام.
اجلسا... من فضلكما. الحديث ونحن واقفون يُتعب الرقبة.

أسعد نظر إلى منى، ثم جلس أخيرًا على أحد المقاعد المعدنية الباردة.
جلست هي إلى جواره، ويدها لم تفارق ذراعه.

الصقر جلس هو الآخر، وسكب لنفسه سائلاً شفافًا في كأس رفيع.
لم يعرض عليهما شيئًا.

– اسمي الحقيقي لم يعد مهمًا منذ سنوات. الجميع هنا ينادونني بالصقر الأسود... وهذا يكفي. أما أنتما فتعرفان بعضكما جيدًا كما يبدو. شهر عسل في مهمة استخراج أحجار كريمة من تريتون؟ اختيار... جريء.

أسعد شعر بالغضب يزحف إلى حلقه.

– كيف عرفت؟

– أنا أعرف الكثير من الأشياء. هذه مهنتي.

شرب رشفة صغيرة، ثم وضع الكأس ببطء.

– كنت مثلكما يومًا ما. عالمًا... لا قرصانًا. عملت في مختبرات الإمبراطورية على تريتون نفسه قبل اثني عشر عامًا. كنا ندرس كائنات دقيقة وُجدت في الشقوق العميقة تحت الجليد. فطريات غريبة... قرمزية اللون. سريعة النمو. شرهة بشكل لا يُصدق.

صوته ظل هادئًا، لكن شيئًا ما تغيّر في عينيه للحظة.

– ثم حدثت «الحادثة». انهيار في أحد الأنفاق. تسرب. مات سبعة وعشرون شخصًا في أقل من ساعة. بينهم... أشخاص كانوا مهمين بالنسبة لي. الإمبراطورية أغلقت الملف، واتهمت «خطأ بشريًا»، وأغلقت المختبر. أما أنا... فقد بقيت.

صمت لحظة، ثم ابتسم من جديد، والابتسامة عادت ساخرة تمامًا.

– ومنذ ذلك اليوم وأنا أجمع ما تبقى من تلك الفطريات. وأختبرها. وأحسّنها. وأستخدمها... بعدالة.

أسعد شعر بقشعريرة باردة تسري في عموده الفقري.

منى كانت تحدق في الصقر بتركيز عالمة، لا بتركيز ضحية.

– أنت تحتفظ بها هنا... على السفينة.

الصقر أومأ برأسه ببطء.

– بالطبع. في قاعة خاصة جدًا. سأريكما إياها لاحقًا... إذا أبديتما اهتمامًا كافيًا.

أما الآن، فأنتم ضيوفي. ستحصلان على غرفة نظيفة، وطعام مقبول، وحرية محدودة داخل السفينة. بشرط واحد فقط: لا تحاولا أي شيء أحمق. فأنا أكره أن أُفسد الضيافة.

نهض بهدوء، وأشار إلى الباب الجانبي حيث يقف اثنان من رجاله الملثمين.

– خذاهما إلى الجناح الغربي. وتأكدوا أن السيدة تحصل على ما تحتاجه.

قبل أن يخرجا، التفت الصقر مرة أخيرة إلى أسعد، ونظراته أصبحت أبرد قليلاً:

– أهنيك يا كابتن. قاتلتَ جيدًا... رغم أنك كنت تعرف أنك ستخسر.

هذا النوع من العناد... يُعجبني.

لا تجعله يقتل زوجتك.

الباب انغلق خلفهما بصوت ناعم.

وفي الممر الطويل المظلم الذي سارا فيه تحت حراسة مسلحة، لم يقل أسعد كلمة واحدة.

لكن يده كانت تمسك بيد منى بقوة تكاد تؤلم.

الفصل السادس

الأرضية البلورية

في اليوم التالي، جاء أحد الحراس الملثمين إلى غرفتهما مبكرًا.

– الصقر يطلب الكابتن فقط.

منى نهضت فورًا من المقعد.

– سأذهب معه.

الحارس هز رأسه ببطء.

– الأوامر واضحة. هو وحده.

أسعد لمس ذراعها بهدوء.

– ابقِ هنا. سأعود.

عيناه قالا شيئًا آخر، لكنها فهمت.

جلست من جديد، ويدها ترتجف قليلاً فوق ركبتيها.

***

الممر الذي سارا فيه كان أطول وأكثر ظلمة من الممرات السابقة.
الجدران هنا لم تكن لامعة، بل مطلية بمادة داكنة تمتص الضوء.
في النهاية انفتح باب دائري سميك، ودخل أسعد إلى غرفة مقببة واسعة.

الجدران المنحنية والسقف كانا يلمعان ببريق فضي بارد.
أما الأرضية... فكانت من بلور شفاف تمامًا، سميك كجدار سفينة.
تحت البلور، على عمق ثلاثة أمتار تقريبًا، امتدت قاعة دائرية كبيرة بلا نوافذ ولا أبواب ظاهرة.
أرضيتها مغطاة بمادة قرمزية هشة، متفتتة، كأنها رمال حمراء جفّت منذ زمن.

الصقر الأسود كان يقف في منتصف الغرفة، يداه خلف ظهره كعادته.

– أهلاً بك من جديد يا كابتن. أرجو أن تكون قد نمت قليلاً.

أسعد لم يرد على التحية.
كان يحدق إلى الأسفل، عبر الأرضية البلورية.

– ما هذا؟

ابتسم الصقر ابتسامة راضية، كأن السؤال هو ما كان ينتظره.

– هذه قاعة العدالة. أو كما يحب بعض رجالي أن يسموها... الحديقة.

اقترب من حافة البلور، وأشار بإصبعه إلى الأسفل.

– الفطريات القرمزية التي حدثتك عنها أمس. الجراثيم الأصلية جُمعت من أعماق تريتون قبل سنوات. نوع نادر جدًا. لا يحتوي على كلوروفيل، يعتمد بالكامل على المادة

العضوية... وخصوصًا اللحم الحي. ينمو بسرعة مذهلة حين يجد مضيفًا مناسبًا. يحوّل الجسد في أقل من ربع ساعة إلى كتلة متفتتة من الخيوط الحمراء.

أسعد شعر بالمعدة تنقبض.

– أنت تستخدمها لتعذيب الناس.

الصقر هز رأسه بهدوء، كأن التصحيح مهم بالنسبة له.

– لا. أستخدمها لتنفيذ أحكام. القراصنة الآخرون يقتلون بالأشعة أو بالاختناق في الفراغ... طرق سريعة ومملة. أنا أفضّل أن يرى المحكوم عليه ثمن جشعه بعينه قبل أن يموت.

فجأة انفتح باب معدني في أسفل القاعة.

دفعت منه يد قوية رجلاً نصف عارٍ، موثقًا من وسطه بحبال سميكة.

وقع الرجل على وجهه في السحابة القرمزية الخفيفة المتصاعدة من الأرض.

أسعد عرف الوجه فورًا.

كان أحد مهندسي «الشهاب»... الشاب الذي كان يضحك دائمًا في غرفة الطعام.

الرجل سعل بعنف، ثم نهض مترنحًا وهو يضرب وجهه بيديه.

حاول الركض، لكن الخيوط الدقيقة كانت قد بدأت تلتصق بجلده العاري.

الصقر مد يده إلى لوحة صغيرة على الجدار، وضغط زرًا.

فجأة وصل الصوت من الأسفل بوضوح مرعب عبر مكبرات مخفية.

صرخة الرجل الأولى قطعت الصمت كسكين.

كان يركض في دوائر مجنونة داخل القاعة، يضرب الجدران بقبضتيه العاريتين، يتوسل، ينتحب، يطلب المساعدة بأسماء لم يعد أحد يسمعها.

ثم توقف فجأة.

تصلب جسده.

ومن أنفه وعينيه وأذنيه بدأت تخرج خيوط حمراء رفيعة تشبه جدائل شعر مبتل.

الخيوط نمت بسرعة مرعبة، تغطي الوجه ثم الصدر ثم الذراعين.

في أقل من دقيقتين كان الجسد كله قد اختفى تحت فراء قرمزي كثيف يتحرك ويتلوى كأنه حي.

ثم سقط.

وتفتت.

وسحابة من الجراثيم الدقيقة ارتفعت فوق ما تبقى منه مثل دخان أحمر ناعم.

أسعد كان يTremble.

يداه ممسكتان بحافة اللوحة المعدنية حتى ابيضت مفاصله.

شعر أنه سيتقيأ، أو سيصرخ، أو سيهجم.

اندفع فجأة نحو الصقر بقبضتين مضمومتين.

لكن يد القرصان تحركت أسرع.

سلاح ليزري صغير أسود ظهر في كفه، ومصوبه مباشرة إلى جبين أسعد.

ابتسم الصقر، والابتسامة هذه المرة كانت أبرد من أي وقت مضى.

– هدوءًا يا كابتن. تذكر وعدي... أنت وزوجتك لن تموتا بهذه الطريقة.

ما لم تجبرني على تغيير رأيي.

أسعد توقف.

كان صدره يعلو ويهبط بعنف، وعيناه محمرتان من الغضب والرعب معًا.

همس بصوت مبحوح يكاد لا يُسمع:

– أنت... شيطان.

الصقر أخفض السلاح ببطء، وأعاد الابتسامة المهذبة إلى وجهه.

– ربما.

لكن الشيطان أحيانًا يكون أكثر عدلاً من الإمبراطورية التي تركتكم تموتون في المناجم من أجل بضعة أحجار لامعة.

أشار إلى الباب.

– يمكنك العودة الآن إلى زوجتك.

وسأخبرها... إذا سألت... أنك شاهدت عرضًا تعليميًا فقط.

أسعد خرج من الغرفة بخطوات غير ثابتة.

خلفه، ظل الصوت الخافت لسحابة الجراثيم وهي تستقر من جديد على أرضية القاعة القرمزية... ينتظر الضحية التالية.

الفصل السابع

ضيوف بالقوة

مرّ أسبوع كامل على متن الصقر الأسود.

لم يكونا سجينين بالمعنى التقليدي.

الغرفة التي أُعطيت لهما كانت واسعة ونظيفة، ذات سرير كبير ونوافذ مصفحة تطل على الفضاء الأسود، وحمام يعمل بالماء المعاد تدويره بكفاءة عالية.

الطعام كان يصل ثلاث مرات يوميًا: وجبات متوازنة، لذيذة بشكل مفاجئ، تُقدَّم على أطباق معدنية سوداء لامعة.

لكن الباب كان يُقفل من الخارج كل ليلة، والحراس يقفون على مسافة قريبة دائمًا، والكاميرات الصغيرة في الزوايا لا تنام أبدًا.

كانا ضيفين... بالقوة.

***

في اليوم الثالث، طلبت منى إذنًا بزيارة المختبر الصغير الملحق بقاعة الفطريات.

الصقر وافق بعد صمت قصير، مبتسمًا تلك الابتسامة التي أصبحت مألوفة ومكروهة في آن واحد.

– الفضول العلمي شيء جميل. فقط... لا تلمسي أي شيء دون قفازات.

قضى أسعد الساعات التي غابت فيها منى يذرع الغرفة جيئة وذهابًا، يرسم في رأسه خرائط للممرات التي رآها، ويحسب عدد الحراس في كل نوبة.

حاول مرة واحدة، في الليلة الرابعة، أن يفتح لوحة التحكم الصغيرة بجانب الباب مستخدمًا أداة معدنية صغيرة سرقها من صينية الطعام.

الإنذار لم يطلق صوتًا.

لكن بعد أقل من دقيقة وقف الحارسان أمام الباب المفتوح، وأحدهما قال بهدوء:

– الصقر يطلب منك أن تتوقف عن إضاعة وقته ووقتك.

أُغلق الباب من جديد.

وأسعد عرف أن الهروب المباشر مستحيل... في الوقت الحالي على الأقل.

***

منى عادت في المساء متأخرة، ووجهها شاحب وعيناها تلمعان بشيء بين الرعب والإثارة العلمية.

جلست على حافة السرير، وراحت تفرك يديها كأنما تحاول أن تنظفها من شيء غير مرئي.

– إنه أذكى مما تخيلت.

أسعد جلس إلى جوارها.

– ماذا وجدت؟

– الفطر لا يكتفي بالتهام اللحم. هو... يتعلم. أخذت عينة من بقايا المهندس... سامحني على هذا الكلام. راقبت نموها تحت المجهر لساعات. الخيوط لا تنمو عشوائيًا. تشكل أنماطًا. وفي إحدى التجارب، عندما وضعت عينة قريبة من تسجيل صوتي لضحك ذلك المهندس... الخيوط تحركت باتجاه الصوت.

أسعد شعر بالبرودة تزحف إلى أطرافه.

– تقصدين أنه يحاكي؟

– أكثر من ذلك. أعتقد أنه يحتفظ بشيء من الذاكرة البيولوجية للمضيف. ربما نبضات عصبية، أو بقايا إشارات. الصقر يسميه «الصدى». وهو يستخدم هذا الصدى أحيانًا... ليستمع إلى الضحايا بعد موتهم.

صمت طويل ملأ الغرفة.

أسعد أمسك بيدها بقوة.

– سنتخلص منه. بطريقة ما.

منى نظرت إليه، وابتسامتها كانت حزينة ومتعبة.

– أعرف أنك تحاول. لكن هذا المكان... مصمم ليكون سجنًا أنيقًا. حتى الهواء هنا مُراقَب.

***

في اليوم السادس، استدعى الصقر أسعد وحده مرة أخرى إلى غرفة القيادة الواسعة ذات النوافذ البانورامية.

كان يقف أمام شاشة كبيرة تعرض خريطة ثلاثية الأبعاد للقطاع الخارجي للمجموعة الشمسية.

– أحجارك الكريمة وصلت إلى مشتريها السري منذ يومين. السعر كان جيدًا. جزء من الأرباح سيذهب لإطعام طاقمي... والجزء الآخر لتمويل أبحاث إضافية على الفطر.

أسعد ظل صامتًا.

الصقر التفت إليه، وعيناه الكهرمانيتان تبرقان بشيء يشبه الفضول الحقيقي.

– هل تعرف لماذا أفعل كل هذا يا كابتن؟

ليس من أجل المال. المال وسيلة فقط.

الإمبراطورية تركت عشرات العلماء يموتون على تريتون لأنها أرادت إخفاء فشلها. تركت عائلات كاملة بلا تعويض. ثم تبيع تصاريح التعدين لأناس مثلك... ليخرجوا أحجارًا لامعة من نفس التربة التي ابتلعت أحبائي.

اقترب خطوة.

– أنا لا أقتل عشوائيًا. أختار. الطماعون، الكذابون، الذين يبنون ثرواتهم على جثث الآخرين. أعطيهم ما يستحقون... ببطء. حتى يروا ثمن جشعهم بأعينهم.

أسعد رفع رأسه أخيرًا.

– والمهندس الشاب الذي قتلته أمامي؟ ماذا كان جشعه؟

الصقر ابتسم ابتسامة صغيرة مائلة.

– كان يعمل في منجم يقتل العمال بالأشعة البطيئة منذ سنوات. كان يعرف، ويصمت، ويأخذ راتبه. هذا يكفي.

صمت لحظة، ثم أضاف بصوت أخف:

– أما أنت... فمختلف. قاتلت حتى النهاية رغم أنك كنت تعرف النتيجة. وهذا يضعك في فئة نادرة. لذلك أنت وزوجتك ما زلتما على قيد الحياة.

لكن لا تخطئ الفهم يا أسعد... الرحمة عندي لها حدود. وحدودها ضيقة جدًا.

***

في تلك الليلة، استلقى أسعد ومنى على السرير في الظلام، يسمعان صوت المحركات البعيد وهو يملأ السفينة كتنهد عملاق.

منى همست قرب أذنه:

– اكتشفت شيئًا آخر. الفطر يكره البرودة الشديدة. إذا انخفضت الحرارة تحت حد معين... يدخل في سبات عميق لأسابيع.

أسعد فتح عينيه في الظلام.

– هل تعتقدين أن هذا يمكن أن يساعدنا؟

– لا أعرف بعد. لكن أي معلومة... أفضل من لا شيء.

خارج النوافذ الصغيرة المصفاة، كانت النجوم تمر ببطء.

وسفينة الصقر الأسود تواصل طريقها في عمق الكون، حاملة في بطنها ضيفين مجبرين... وحديقة قرمزية جائعة تنتظر.

الفصل الثامن

الحقيقة المخفية

في اليوم الثامن، تغير شيء في الهواء داخل السفينة.

لم يكن تغييرًا واضحًا يمكن قياسه بالأجهزة، لكنه كان موجودًا.

الحراس أصبحوا أكثر توترًا، والمحادثات الجانبية بينهم انقطعت فجأة حين يقترب أحد الضيفين، والصقر نفسه اختفى عن الأنظار لأكثر من ثلاثين ساعة متواصلة.

منى استغلت الغياب.

طلبت مرة أخرى الدخول إلى المختبر الصغير، وهذه المرة لم يرافقها حارس إلى داخل القاعة نفسها.

بقيت وحدها مع المجاهر والشاشات والحاويات المغلقة التي تحتوي على عينات حية من الفطر القرمزي.

كانت تعمل بسرعة وهدوء، تنسخ ملفات، تراجع تسجيلات قديمة، تقرأ ملاحظات مكتوبة بخط يد الصقر نفسه.

الخط كان أنيقًا ومنتظمًا بشكل مرضي، كأنه ينتمي إلى عالم مختبرات لا إلى قرصان فضاء.

ثم وجدته.

ملف مشفر جزئيًا بعنوان واحد فقط:

«البذرة»

استغرق فك التشفير الجزئي منها أربعين دقيقة كاملة، مستخدمة خوارزميات قديمة كانت قد تعلمتها في أيام الدراسة.

عندما انفتح الملف أخيرًا، شعرت بقلبها يتسارع.

لم يكن الصقر يجمع الغنائم من أجل الثروة فقط.

كان يبحث عن شيء أقدم وأندر بكثير: العينة الأصلية الأولى التي اكتُشفت في أعمق شقوق تريتون قبل خمسة عشر عامًا.

العينة التي سُرقت أو فُقدت أثناء «الحادثة»، والتي يعتقد الصقر أنها ما زالت موجودة... في مكان ما داخل القطاع الخارجي.

وبحسب ملاحظاته، فإن هذه «البذرة» قادرة على إنتاج سلالة أسرع وأذكى وأكثر مقاومة من الفطر الحالي.

سلالة يمكنها أن تبقى حية في درجات حرارة منخفضة، وأن تنتشر عبر أنظمة التهوية بأكملها في ساعات.

منى أغلقت الملف بسرعة، وأعادت ترتيب الشاشات كما كانت.

لكن يديها كانتا ترتجفان.

***

في المساء نفسه، طلبت مقابلة الصقر.

استقبلها في غرفة القيادة، واقفًا أمام النافذة البانورامية الكبيرة، وظهره إليها.

– سمعت أنكِ قضيتِ وقتًا طويلاً في المختبر اليوم.

صوته كان هادئًا كالعادة، لكن فيه شيئًا جديدًا... حذرًا خفيفًا.

منى لم تلتف حول الموضوع.

– أنت تبحث عن البذرة الأصلية.

الصقر استدار ببطء.

ابتسامته كانت موجودة، لكنها لم تصل إلى عينيه هذه المرة.

– ذكية. كنت أعرف أنكِ ستكونين كذلك منذ اللحظة الأولى.

– لماذا؟ ماذا ستفعل بها إذا وجدتها؟

اقترب منها خطوتين، ووقف على مسافة قريبة جدًا.

– سأكملها ما بدأته الإمبراطورية ثم تخلت عنه جبنًا. سأحوّل الفطر من أداة عدالة محدودة... إلى قوة لا يمكن لأحد أن يتجاهلها. القوة الوحيدة التي تفهمها الإمبراطوريات هي الخوف. وأنا سأعطيهم خوفًا يستحقونه.

منى ثبتت مكانها، رغم أن قلبها كان يدق بعنف.

– طاقمنا الباقي... المهندسون والفنّيون الذين ما زالوا في العنبر. أطلق سراحهم. خذني بدلاً منهم إذا كنت تحتاج إلى عالمة.

الصقر نظر إليها طويلاً، ثم ضحك ضحكة منخفضة قصيرة.

– عرض بطولي... ومؤثر. لكن لا.

الرجال الباقون من طاقم «الشهاب» سيبقون حيث هم حتى أصل إلى ما أريد. أما أنتِ وزوجك... فمكانكما مختلف. أنتما جزء من التجربة الآن.

التفت نحو الشاشة الجانبية، وضغط زرًا.

ظهرت صورة لخريطة نجمية معقدة، ونقطة حمراء وامضة في قطاع بعيد.

– بعد ثلاثة أيام سنصل إلى إحداثيات معينة. هناك معلومات تشير إلى أن البذرة قد تكون مخبأة في حطام مختبر قديم يدور حول أحد أقمار أورانوس.

إذا كانت المعلومات صحيحة... فستتغير أشياء كثيرة.

وإذا لم تكن... فسأحتاج إلى إعادة التفكير في مصير ضيفيّ العزيزين.

منى شعرت بالدم يبرد في عروقها.

– أنت تستخدمنا كورقة مساومة؟

الصقر هز رأسه بهدوء.

– لا. أنا أستخدمكما كشهود.
أحب أن يكون هناك من يرى النهاية بوضوح... حين تأتي.

أشار إلى الباب إشارة خفيفة.

– عودي إلى زوجك. وقولي له إن الهروب ما زال فكرة سيئة.
فالوقت الآن... ثمين أكثر من أي وقت مضى.

***

عندما عادت منى إلى الغرفة، كان أسعد ينتظرها واقفًا.

رأت وجهها ففهم فورًا أن شيئًا ما قد تغيّر.

جلست على السرير، وراحت تتحدث بصوت منخفض وسريع.
أخبرته عن البذرة، عن الملف، عن الخريطة، عن الموعد بعد ثلاثة أيام.

أسعد استمع دون أن يقاطع.
عندما انتهت، جلس إلى جوارها وأمسك بيديها بين يديه.

– إذن هو لا ينوي تركنا نذهب بسهولة.

– لا.

صمت لحظة، ثم قال بصوت خشن:

– إذن علينا أن نتحرك قبل أن يصل إلى ما يريد.

أو نموت ونحن نحاول.

خارج النوافذ، كانت سفينة الصقر الأسود تغيّر مسارها ببطء محسوب، متجهة نحو القطاع الخارجي...

حيث ينتظر حطام قديم، وبذرة قرمزية نائمة منذ خمسة عشر عامًا، ونهاية لم تتضح معالمها بعد.

الفصل التاسع

الهبوط

في صباح اليوم الحادي عشر، اهتزت السفينة بطريقة مختلفة.

لم يكن اهتزاز محركات الاندماج وهي تعمل بكامل طاقتها، ولا اهتزاز المناورات الحادة.

كان اهتزاز دخول غلاف جوي كثيف... غلاف الزهرة.

أسعد وقف أمام النافذة الصغيرة في غرفتهما، يشاهد السحب الصفراء الكثيفة وهي تبتلع السفينة تدريجيًا.

الضوء الخارجي تحول إلى لون كبريتي خانق، والحرارة بدأت ترتفع رغم أنظمة التبريد.

منى كانت جالسة على السرير، تراقب الأجهزة الصغيرة التي نجحت في تهريبها من المختبر خلال الأيام الماضية.

لم تتحدث كثيرًا منذ الليلة السابقة.

كانت تعرف، مثله، أن شيئًا ما يقترب من نهايته.

***

بعد ساعتين، هبطت السفينة.

المركبة لم تهبط في مدينة أو قاعدة معروفة.

عندما انفتحت البوابات الخارجية واندفع الهواء الساخن المحمّل بالكبريت، رأى أسعد أمامه شاطئًا رمليًا رماديًا يمتد حتى الأفق، خلفه جبل صخري قاحل يرتفع كجدار أصم، وأمامه محيط واسع من سائل داكن يتحرك ببطء تحت سماء صفراء مريضة.

جزيرة نائية في أحد محيطات الزهرة الحمضية.

تبعد عن أقرب مستوطنة بشرية أكثر من ألفي كيلومتر.

الصقر الأسود كان ينتظرهم عند قاعدة المنحدر المعدني.

كان يرتدي بدلة خفيفة مضادة للحرارة، وشعره الأسود مصفف بعناية رغم كل شيء.

ابتسامته كانت في أوسع حالاتها.

– أهلاً بكما في أحد أجمل شواطئ الزهرة... إذا تجاهلنا رائحة الكبريت ودرجة الحرارة التي تذيب الرصاص.

أشار إلى رجلين من طاقمه كانا ينزلان صندوقين معدنيين كبيرين من فتحة جانبية في السفينة.

الصندوقان متطابقان تمامًا: فضيّان، لامعان، مزخرفان بنفس النقوش الهندسية الدقيقة، وحجمهما حوالي مترين مربعين لكل منهما.

وُضعا على الرمال الرمادية جنبًا إلى جنب، على مسافة مترين فقط بينهما.

الصقر اقترب من أسعد، ووضع يدًا باردة على كتفه للحظة قصيرة.

– زوجتك ستكون في أحد هذين الصندوقين.

هي تحت تأثير مخدر متوسط القوة... سيبقيها نائمة بهدوء لمدة اثنتي عشرة ساعة بالضبط. داخل الصندوق كمية كافية من الأكسجين والماء وبعض الغذاء، وجهاز إرسال واستقبال يدوي يمكنك أن تطلبي به النجدة إذا نجحتِ في الخروج.

التفت نحو الصندوقين، ثم عاد بنظره إلى أسعد.

– أما الصندوق الآخر... فهو ممتلئ بجراثيم الفطر القرمزي النشطة. إذا فتحته، فستنتشر السحابة في ثوانٍ. وستموت بنفس الطريقة التي مات بها مهندسك الشاب... ربما أبطأ قليلاً لأنك في العراء.

أسعد شعر بأن الأرض تتحرك تحت قدميه.

– أيهما...؟

الصقر رفع يديه كمن يعلن براءته.

– هذا هو السؤال الجميل. أنت من يقرر.

الصندوقان متطابقان من الخارج تمامًا. لا علامات، لا اختلاف في الوزن، لا رائحة. اخترت بنفسي أن يكون الأمر كذلك.

اقترب أكثر، وصوته انخفض حتى أصبح همسًا قريبًا من أذن أسعد:

– لديك اثنتا عشرة ساعة قبل أن ينفد الأكسجين عن زوجتك.

إذا فتحت الصندوق الخطأ... تموت أنت، وتموت هي بعدك اختناقًا.

إذا لم تفتح أيًا منهما... تموت هي، وتبقى أنت حيًا مع ذنبك إلى الأبد.

حظًا سعيدًا يا صديقي.

ثم استدار وبدأ يصعد المنحدر المعدني نحو باب السفينة.

منى كانت قد أُخذت من جانب أسعد منذ دقائق، مخدرة وهادئة بين ذراعي حارسين.

لم تستطع حتى أن تنظر إليه للمرة الأخيرة.

عند حافة الباب، التفت الصقر مرة أخيرة.

– تذكر يا أسعد... الرحمة لها حدود.

وأنا اليوم... رحيم جدًا.

الباب انغلق.

المحركات زأرت.

والسفينة السوداء ارتفعت ببطء وسط السحب الصفراء، ثم اختفت تمامًا تاركة خلفها فقط أثرًا حراريًا يتلاشى في السماء المريضة.

أسعد بقي واقفًا على الرمال الرمادية، وحيدًا تمامًا.

أمامه الصندوقان الفضيان المتطابقان يلمعان تحت الضوء الكبريتي الخانق.

وفوقه سماء الزهرة الصفراء التي لا ترحم.

وبين ضلوعه... اثنتا عشرة ساعة فقط قبل أن يتحول الحب إلى قرار يقتل.

الفصل العاشر

الساعات الأولى

الساعة الأولى مرت كأنها سنة.

أسعد ظل واقفًا أمام الصندوقين دون أن يلمس أيًا منهما.

الرمال الرمادية تحت قدميه كانت ساخنة حتى من خلال الحذاء، والهواء الكبريتي يحرق حلقه مع كل نفس.

السماء فوقه صفراء مريضة، بلا شمس واضحة، بلا نجوم، بلا أي شيء يدل على أن العالم الآخر ما زال موجودًا.

اقترب أخيرًا.

وضع كفيه على الغطاء الأيمن أولاً.

المعدن كان باردًا بشكل غريب مقارنة بالحرارة المحيطة، وناعمًا كجلد ثعبان.

النقوش الهندسية متطابقة تمامًا مع الصندوق الأيسر.

نفس الخطوط، نفس الزوايا، نفس العمق.

انتقل إلى الصندوق الثاني.

نفس البرودة.

نفس النعومة.
نفس الوزن حين حاول أن يهزه قليلاً (لم يتحرك أي منهما بالطبع، كانا ثقيلين جدًا).

وضع أذنه على الغطاء الأيمن.
صمت مطبق.
ثم على الأيسر.
نفس الصمت.

لا تنفس.
لا حركة.
لا همسة.

***

في الساعة الثانية بدأ يمشي.

ذرع الشاطئ جيئة وذهابًا، تاركًا آثار أقدام سرعان ما تبتلعها الرياح الحمضية الخفيفة.
كان يرفع رأسه كل بضع دقائق نحو السماء، يبحث عن أي نقطة سوداء، أي وميض، أي شيء يشبه سفينة.

مرة واحدة اعتقد أنه رأى ضوءًا بعيدًا بين السحب.
ركض نحو البحر الداكن وهو يلوح بيديه ويصرخ حتى بَحَّ صوته.
ثم أدرك أن ما رآه لم يكن إلا انعكاسًا خاطفًا لبرق كبريتي داخلي في الغلاف الجوي.

جلس على ركبتيه في الرمال، يتنفس بصعوبة.

***

الذكريات بدأت تتداخل دون إذن.

ليلة الزفاف في المحطة الصغيرة حول زحل.
منى تضحك وهي ترتدي فستانًا أبيض بسيطًا استعارته من صديقة.
هو يحاول أن يعقد ربطة عنقه بيديه المرتجفتين، وهي تأخذها منه وتقول:
«اتركها... أنا أحبك حتى لو كنت أعقدها لك».

ثم صورة أخرى: وجه المهندس الشاب وهو يتحول تحت الفراء القرمزي.
الخيوط تخرج من عينيه.
الصرخة الأخيرة التي قطعها الصقر بمفتاح الصوت.

أسعد ضرب رأسه بكفيه مرتين بقوة.

– ركز... ركز يا أسعد.

عاد إلى الصندوقين.

هذه المرة رقد على الرمال بينهما، ووضع أذنًا على كل غطاء بالتناوب لدقائق طويلة.
حاول أن يتخيل نبضًا، همسة، أي دليل على حياة.

لا شيء.

في الساعة الرابعة بدأ الحديث مع نفسه بصوت عالٍ.

– إذا فتحت الأيمن وماتت... سأموت بعدها مباشرة.
إذا فتحت الأيسر وماتت... نفس الشيء.
إذا لم أفتح... ستموت هي، وأبقى أنا.
أي خيار يجعلني أستحق أن أعيش بعدها؟

الرياح الحمضية حملت كلماته بعيدًا ولم ترد عليه.

***

في الساعة السادسة كان قد فقد الإحساس بالوقت تقريبًا.

الجوع بدأ ينهشه، والعطش يجعل لسانه خشنًا كالصنفرة.

لكنه لم يلمس جهاز الإرسال الموجود في جيب بدلة الفضاء.

ما الفائدة؟ أقرب محطة على بعد ألفي كيلومتر، ولن يصل أحد في أقل من يوم كامل... إذا استطاع الجهاز اختراق الغلاف الكثيف أصلاً.

جلس القرفصاء أمام الصندوقين من جديد.

مد يده هذه المرة إلى الغطاء الأيسر، وأصابعها ترتجف.

كاد أن يرفعه... ثم سحبها كأن المعدن بارد لدرجة الحرق.

تذكر صوت منى في الليلة الأخيرة على السفينة:

«الفطر يكره البرودة الشديدة...»

لكن الصندوقين كانا في حرارة الزهرة القاتلة.

لا برودة هنا.

أغمض عينيه.

ورأى منى مرة أخرى... ليس في فستان الزفاف، بل كما كانت في غرفة القيادة وهي ترفض أن تتركه، عيناها ثابتتان رغم الخوف.

فتح عينيه فجأة.

كان الصندوقان ما زالا هناك.

صامتين.

متطابقين.

وينتظران.

والساعة السابعة كانت قد بدأت للتو.

الفصل الحادي عشر

التحذير

في بداية الساعة الثامنة، لاحظه أخيرًا.

كان أسعد راكعًا أمام الصندوق الأيمن، يمرر أصابعه على النقوش للمرة العشرين ربما، حين أحس بنتوء مختلف تحت رأس إصبعه.

توقف.

مال بجسده كله نحو الغطاء، وراح يمسح الرمال الدقيقة والغبار الكبريتي الذي تراكم منذ هبوط السفينة.

تحت الضوء الأصفر المريض ظهرت ثلاث كلمات محفورة بخط دقيق جدًا، شبه مخفي بين الزخارف الهندسية:

«الصندوق الآخر»

قرأها مرة.

مرتين.

ثلاث مرات.

ثم تراجع إلى الوراء كأن الغطاء قد لدغه.

قلبه بدأ يدق بطريقة مؤلمة وغير منتظمة.

وقف مترنحًا، يمسح العرق البارد الذي سال على جبينه رغم حرارة الجزيرة.

– فخ... لا بد أنه فخ.

همس لنفسه، ثم ضحك ضحكة قصيرة مجنونة.

الصقر لم يفعل شيئًا عبثًا طوال الوقت.
كل كلمة، كل ابتسامة، كل تفصيلة كانت محسوبة.
فلماذا يترك تحذيرًا واضحًا على أحد الصندوقين؟

ركض إلى الصندوق الأيسر.
فحصه بأصابعه وبعينيه حتى أحس أنه سيفقد بصره.
لا شيء.
لا حرف واحد مختلف.
النقوش متطابقة تمامًا مع ما كان على الأيمن... باستثناء تلك الكلمات الثلاث.

جلس على الرمال بين الصندوقين، رأسه بين ركبتيه.

الاحتمالات بدأت تتراقص أمام عينيه كشظايا زجاج:

الاحتمال الأول: التحذير صادق. منى في الصندوق الأيسر، والفطر في الأيمن.
الاحتمال الثاني: التحذير فخ. منى في الأيمن، والفطر في الأيسر، والصقر يراهن على أنه سيصدق الكتابة.
الاحتمال الثالث: كلا الصندوقين يحتويان على الفطر، ومنى ماتت منذ أن أخذوها من أمامه.
الاحتمال الرابع: كلاهما فارغان، والصقر يستمتع بمشهد جنونه عن بُعد بطريقة ما.

وضع كفيه على وجهه وضغط بقوة حتى رأى نجومًا حمراء خلف جفنيه.

صورة المهندس الشاب عادت أقوى هذه المرة.
الخيوط القرمزية وهي تخرج من فمه وعينيه.
الصوت المكتوم للجسد وهو يتفتت.

ثم صورة منى... نائمة داخل صندوق معدني ضيق، الأكسجين ينفد تدريجيًا، رئتاها تبدأان في الاحتراق دون أن تستطيع حتى الصراخ.

نهض فجأة واندفع نحو الصندوق الذي عليه الكتابة.

أمسك بالغطاء بكلتا يديه.

العضلات في ذراعيه تشنجت.

كاد أن يرفعه...

ثم توقف.

سحبه إلى الوراء بقوة حتى سقط على ظهره في الرمال.

– لا... لا أستطيع.

زحف بعيدًا عن الصندوقين مسافة عشرة أمتار تقريبًا، ثم وقف ينظر إليهما من هناك كأنه ينظر إلى وحشين نائمين.

الوقت كان يمر.

الساعة التاسعة اقتربت.

ثلاث ساعات فقط تفصل منى عن نهاية الأكسجين... إذا كانت ما زالت على قيد الحياة أصلاً.

أسعد راح يمشي في دوائر ضيقة، يلكم الهواء، يسب الصقر بصوت عالٍ، ثم يعود ليهمس لمنى كأنها تسمعه:

– اصبري... سأعرف... سأعرف بأي طريقة.

لكنه لم يكن يعرف.

والكتابة الفضية الصغيرة على الغطاء الأيمن كانت تلمع تحت السماء الصفراء كأنها تضحك عليه في صمت.

الفصل الثاني عشر

القرار

الساعة العاشرة بدأت والظلام داخل رأس أسعد أصبح أسمك من سماء الزهرة.

لم يعد يمشي.

كان يقف بين الصندوقين كتمثال مكسور، رأسه منحنٍ، ويداه تتدليان على جانبيه بلا قوة.

العرق المالح والحمضي اختلط على وجهه ودخل عينيه فأحرقهما، لكنه لم يعد يشعر بالألم الجسدي.

الألم الحقيقي كان في مكان أعمق.

أغمض عينيه... فرأى منى.

ليست منى العالمة الهادئة، ولا منى التي رفضت تركه في غرفة القيادة.

رأى منى ليلة الزفاف، تضحك والشموع الصغيرة في المحطة ترقص في عينيها.

رأى يده وهي ترتعش وهي تضع الخاتم في إصبعها.

رأى صوتها وهي تقول له بعد القبلة الأولى كزوجين:

«مهما حدث... لا تتركني وحدي في الظلام».

فتح عينيه فجأة وهو يلهث.

ثم أغمضهما من جديد... فجاءه الوجه الآخر.

المهندس الشاب.

الخيوط القرمزية وهي تتفجر من محاجر عينيه.

الجسد الذي تحول في دقائق إلى كتلة حمراء متفتتة تتحرك وحدها.

أسعد سقط على ركبتيه.

– أنا لا أستطيع... لا أستطيع أن أختار.

صوته خرج مبحوحًا ومكسورًا.

الرمال الرمادية التصقت بشفتيه وهو يكرر الكلمات كمن يهذي.

في الساعة الحادية عشرة صارت الصور أسرع وأكثر عنفًا.

تارة يرى نفسه يفتح الصندوق الخطأ، والسحابة القرمزية تنفجر في وجهه، والجراثيم تدخل فمه وأنفه ورئتيه، والخوف يتحول إلى ألم لا يوصف وهو يشعر بالخيوط تنمو داخله.

وتارة يرى الصندوق الآخر يُفتح بعد فوات الأوان، ومنى داخله قد تحول وجهها إلى الأزرق، عيناها مفتوحتان وفارغتان، ويداه الصغيرتان ممدودتان كأنهما تبحثان عنه حتى الرمق الأخير.

نهض مترنحًا.

خطا نحو الصندوق الذي عليه الكتابة.

ثم تراجع.

خطا نحو الآخر.

ثم تراجع مرة ثانية.

يده اليمنى امتدت من تلقاء نفسها وأمسكت بحافة الغطاء المحفور عليه التحذير.

الأصابع كانت بيضاء من شدة الضغط.

العضل في ساعده ارتجف.

همس بصوت كاد أن يضيع في الرياح الحمضية:

– إذا كنتِ هناك... سامحيني إن أخطأت.

وإذا لم تكوني... فسألحق بكِ فورًا.

تذكر فجأة جملة قالها الصقر وهو يبتسم على منحدر السفينة:

«الرحمة لها حدود».

و جملة أخرى قالها هو لمنى في ليلة زفافهما:

«whichever way the universe goes... I will find you ».

رفع رأسه نحو السماء الصفراء الخانقة.

لم يعد هناك وقت للتفكير.

لم يعد هناك وقت للخوف.

بمجهود متشنج مفاجئ، كمن ينتزع جزءًا من جسده، جذب الغطاء الثقيل إلى الأعلى بكل ما تبقى فيه من قوة.

المعدن صرّ صريرًا حادًا وطويلاً.

الهواء الكبريتي اندفع إلى داخل الصندوق...

وأسعد حدّق إلى الأسفل، بعينين محمرتين ومفتوحتين على آخرهما، ينتظر أن يرى إما وجه من يحب...

أو السحابة القرمزية التي ستبتلعه إلى الأبد.

الفصل الثالث عشر

الغطاء

الغطاء ارتفع بصرير معدني طويل قطع صمت الجزيرة كصراخ.

أسعد تراجع نصف خطوة غريزيًا، ذراعاه ما زالتا ممدودتين، والغطاء الثقيل يهتز في يديه.

الهواء الكبريتي اندفع إلى داخل الصندوق المظلم...

ولم تخرج أي سحابة قرمزية.

للحظة طويلة لم يرَ شيئًا سوى العتمة.

ثم بدأت عيناه تتكيف مع الضوء الأصفر الضعيف الذي تسرب من السماء المريضة.

في قاع الصندوق، على فراش رقيق من مادة عازلة رمادية، كانت منى مستلقية.

شعرها الأسود الفاحم مبعثر حول رأسها، ووجهها شاحب أكثر مما رآه في حياته، وشفتاها مائلتان إلى الزرقة الخفيفة.

صدرها كان يعلو ويهبط... ببطء شديد، لكن بانتظام.

حية.

أسعد سقط على ركبتيه بجانب الصندوق، والغطاء سقط من يديه على الرمال بصوت مكتوم.

يداه امتدتا ترتجفان نحو وجهها.

لمس خدها... كان باردًا، لكنه ليس بارد الموت.

– منى...

صوته خرج مبحوحًا ومكسورًا.

وضع أذنه قرب فمها.

تنفسها كان موجودًا، ضعيفًا وبطيئًا بسبب المخدر، لكنه موجود.

ثم رأى الجهاز الصغير الملصق على صدرها: مقياس الأكسجين.

المؤشر في المنطقة الصفراء... يقترب من الأحمر.

أقل من ساعة تبقى قبل أن ينفد الهواء تمامًا داخل الصندوق المغلق.

بدأ يحاول رفعها.

جسدها كان ثقيلًا ومرنًا بسبب التخدير العميق.

أخرجها بالكاد، وسحبها على الرمال الرمادية بعيدًا عن الصندوق المفتوح، ثم خلع الجزء العلوي من بدلة الفضاء الخاصة به ولفها بها.

في تلك اللحظة فقط لاحظ ما كان على معصمها الأيسر.

خيط رفيع جدًا، قرمزي اللون، يكاد لا يُرى، يلتف حول المعصم كسوار رقيق.

ومن تحته كانت البشرة قد بدأت تأخذ لونًا أحمر خفيفًا غير طبيعي.

الفطر.

ليس السحابة الهائجة التي رآها في القاعة البلورية... بل نسخة أبطأ، أذكى، زرعها الصقر عمدًا تحت الجلد قبل أن يضعها في الصندوق.

أسعد شعر بالدم يتجمد في عروقه.

مد يده نحو الجهاز اليدوي الذي كان موضوعًا بجانب رأسها داخل الصندوق.

شغّله.

الضوضاء البيضاء ملأته أولاً، ثم جاء صوت الصقر الأسود واضحًا وهادئًا وساخرًا كأنه يقف إلى جواره:

«أحسنت يا كابتن. اخترت الصندوق الصحيح... هذه المرة.

زوجتك حية، كما وعدتك. لكن الهدية الصغيرة على معصمها ستبدأ في النمو النشط خلال الساعات القليلة القادمة. البرودة تؤخرها، والحرارة توقظها.

إذا وجدت مساعدة طبية متخصصة خلال يوم واحد... ربما تنجو.

وإذا لم تجد... فستشاهد بنفسك كيف يتحول الحب إلى فطر.

إلى اللقاء... في حياة أخرى ربما».

التسجيل انتهى.

أسعد رفع رأسه نحو السماء الصفراء الخانقة.

منى كانت تتنفس على ذراعيه، والخيط القرمزي على معصمها يلمع لمعانًا خفيفًا خبيثًا تحت الضوء المريض.

الساعة الثانية عشرة كانت قد انتهت.

لكن الساعة الحقيقية... كانت قد بدأت للتو.

الفصل الرابع عشر

النجاة أو الثمن

الساعات التالية كانت سباقًا ضد شيئين في وقت واحد:

نفاد الوقت بالنسبة لمنى، ونمو الخيط القرمزي على معصمها.

أسعد حملها إلى ظل الصخرة الكبيرة القريبة من الشاطئ، حيث كانت الحرارة أقل قليلاً.

خلع بقية بدلة الفضاء الخاصة به وفرشها تحتها، ثم راح يفحص الجهاز اليدوي الذي وجده داخل الصندوق.

الإشارة كانت ضعيفة جدًا. الغلاف الجوي الكثيف للزهرة يبتلع معظم الموجات.

حاول الاتصال على الترددات الطارئة المعروفة ثلاث مرات.

في المرة الرابعة جاء رد مشوش، مقطوع، لصوت آلي:

«...محطة فينوس-7... استقبلنا إشارتك... أرسل الإحداثيات... التكرار...»

أعاد إرسال الموقع الجغرافي التقريبي للجزيرة مرتين قبل أن تنقطع الإشارة تمامًا.

البطارية في الجهاز كانت تنخفض بسرعة.

منى بدأت تتحرك في الساعة التالية.

فتح عينيها ببطء، ونظرت إليه نظرة ضبابية طويلة قبل أن تتعرف عليه.

– أسعد...؟

صوتها كان مبحوحًا وجافًا.

أحضر لها الماء من الزجاجة الصغيرة التي كانت داخل الصندوق، وأسند رأسها وهو يساعدها على الشرب.

– نحن على الزهرة. الصقر تركنا هنا. لكن هناك... مشكلة.

رفع معصمها برفق وأراها الخيط القرمزي.

كانت البقعة الحمراء تحته قد اتسعت قليلًا منذ أن أخرجها من الصندوق، وأصبحت بحجم عملة صغيرة.

منى حدقت فيها لحظة طويلة، ثم أغلقت عينيها وتنهدت تنهيدة قصيرة مريرة.

– نسخة بطيئة. زرعها تحت الجلد عمدًا. يحتاج إلى حرارة الجسم لينشط بالكامل... وحرارة الزهرة تساعده.

أسعد أمسك بيدها السليمة.

– قلتِ لي إن البرودة تؤخره. هل يمكننا...؟

هزت رأسها بضعف.

– ليس بما يكفي. الجزيرة حارة جدًا. وإذا حاولنا تبريد المعصم بماء المحيط... الماء حمضي وسيأكل الجلد قبل أن يؤثر على الفطر.

صمتت لحظة، ثم فتحت عينيها ونظرت إليه بوضوح أكبر هذه المرة.

– يجب أن تقطع يدي.

أسعد شعر كأن أحدهم ضربه في الصدر.

– لا.

– أسعد... إذا وصل إلى مجرى الدم أو إلى العقد الليمفاوية... لن ينفع أي شيء. القطع الآن قد يوقف الانتشار. أنت تعرف ذلك.

كان الخيط قد بدأ يتحرك فعليًا تحت الجلد، ببطء شديد، كدودة رفيعة حمراء تبحث عن طريق.

أسعد وقف وراح يمشي ذهابًا وإيابًا أمامها، يده تمسك بمقبض السكين الصغير الذي كان في حزام بدلة الفضاء.

السكين لم يكن مصممًا للبتر.

ولا هو كان جراحًا.

– انتظري النجدة. قلت لهم موقعنا. سيأتون.

منى ابتسمت ابتسامة ضعيفة وحزينة.

– حتى لو انطلقوا فورًا... سيستغرقون ثماني ساعات على الأقل في أفضل الأحوال. وربما اثنتي عشرة. الفطر لن ينتظر.

مدّت يدها السليمة وأمسكت بأصابعه.

– اسمعني. أنا عالمة أحياء. أعرف ما أقوله. إذا أحببتني حقًا... فافعل ما يجب قبل أن يصبح الخيار مستحيلاً.

أسعد ركع إلى جوارها.

جبهته لامست جبهتها.

وكان يتنفس بصعوبة كأنه هو من يختنق.

خارج ظل الصخرة، كانت سماء الزهرة الصفراء تزداد عتمة تدريجيًا مع اقتراب الليل الكبريتي.

والخيط القرمزي على معصم منى كان قد أصبح أوضح... وأطول بضعة مليمترات.

الفصل الخامس عشر

الظل يعود

الليل على الزهرة لم يكن ظلامًا حقيقيًا.

كان مجرد عتمة صفراء كثيفة، مشبعة برائحة الكبريت، تجعل الأفق يبدو كجرح مفتوح في بطن السماء.

أسعد كان قد قرر.

جلس إلى جوار منى، السكين الصغير في يده، والمعصم المصاب ممدود على قطعة من بدلة الفضاء.

يداه كانتا ترتجفان بعنف لدرجة أنه اضطر إلى التوقف مرتين قبل أن يبدأ.

منى نظرت إليه بهدوء غريب، شبه راضٍ.

– افعل ذلك بسرعة. لا تنظر إلى وجهي.

هو أغمض عينيه لحظة، ثم فتحها.

وضع حافة السكين فوق الجلد، فوق الخيط القرمزي الذي أصبح الآن بطول إصبع تقريبًا ويتحرك بوضوح تحت البشرة.

في اللحظة التي لمس فيها المعدن الجلد... صفّر جهاز الإرسال فجأة.

الصوت كان ضعيفًا ومشوشًا، لكنه بشري هذه المرة.

«...هنا دورية الإنقاذ فينوس-7... استلمنا إشارتك المتكررة... نحن في الطريق... الوصول خلال سبع وأربعين دقيقة... أبقِ الجهاز مفتوحًا...»

أسعد جمد مكانه.

السكين سقط من يده على الرمال.

منى أخرجت زفرة طويلة، نصف ضحكة ونصف بكاء.

– تأخروا قليلاً... لكنهم قادمون.

أسعد أمسك بالجهاز بكلتا يديه كأنما يخشى أن يطير.

– نعم... نعم نسمعكم. نحن على الشاطئ الجنوبي للجزيرة... المرأة مصابة بعدوى فطرية نادرة... نحتاج إلى عزل طبي فوري...

الرد جاء متقطعًا:

«...مفهوم... جهزوا أنفسكم... انت...»

ثم انقطع الاتصال فجأة.

في الثانية التالية مباشرة، ظهر ضوء آخر في السماء.

ليس ضوء دورية الإنقاذ.
كان ضوءًا ورديًا خافتًا، مألوفًا جدًا، يقترب من الأفق بسرعة محسوبة.

أسعد رفع رأسه ببطء.
الشكل الطويل الأسود بدأ يتضح وسط السحب الصفراء.
نفس الهيكل.
نفس الوهج الوردي في المؤخرة.

الصقر الأسود كان يعود.

منى رأت وجهه فتغير لونها حتى صار شبه رمادي.

– لا... ليس الآن.

أسعد التقط السكين من جديد، ووقف أمامها كمن يحاول أن يحجبها بجسده عن السماء كلها.

السفينة السوداء لم تهبط.

حلقت على ارتفاع منخفض فوق الجزيرة، بطيئة ومهيبة، ثم أطلقت من بطنها جسمًا صغيرًا لامعًا سقط على الرمال على بعد عشرين مترًا منهما فقط.

صندوق فضي ثالث.

أصغر هذه المرة.

بعد لحظات جاء صوت الصقر عبر مكبرات السفينة، واضحًا وهادئًا وسعيدًا تقريبًا، يملأ الشاطئ كله:

«لم أستطع المقاومة. أردت أن أرى النهاية بنفسي.

الدورية قادمة كما سمعتما... لكن الصندوق الصغير الذي أمامكما يحتوي على شيء خاص.

إذا فتحتموه قبل وصولهم، ستجدون مضادًا حقيقيًا للسلالة البطيئة... اختبرته بنفسي.

إذا تركتموه مغلقًا... فستصل الدورية وتجدون امرأة تتحول أمام أعينهم، ورجلاً يحاول أن يشرح قصة لا أحد سيصدقها.

الاختيار... كالعادة... لكم».

السفينة ارتفعت ببطء، ثم اختفت داخل السحب مرة أخرى تاركة وراءها فقط الوهج الوردي الذي يتلاشى.

أسعد وقف ينظر إلى الصندوق الصغير الفضي على الرمال.

ثم نظر إلى معصم منى... حيث الخيط القرمزي أصبح الآن يتحرك بنشاط أوضح تحت الجلد الأحمر المتورم.

في الأفق الآخر، بدأت أضواء دورية الإنقاذ تظهر كنقاط بيضاء بعيدة تقترب.

ثلاث خيارات الآن.

وصندوق جديد.
ووقت أقل من أي وقت مضى.

أسعد التفت إلى منى.
هي نظرت إليه، وعيناها الواسعتان كانتا هادئتين بشكل مخيف رغم كل شيء.

قالت بصوت خافت لا يكاد يُسمع فوق صوت الرياح الحمضية:

– افتحه... أو لا تفتحه.
لكن مهما اخترت... لا تتركني وحدي في الظلام.

أسعد نظر إلى الصندوق الصغير.
ثم إلى الأضواء البيضاء القادمة.
ثم إلى الخيط القرمزي الذي كان ينمو.

وفي سماء الزهرة الصفراء المريضة، بدا الظل الأسود كأنه لم يغادر تمامًا...
بل يراقب من مكان ما بين السحب، مبتسمًا كما دائماً.